# لورانس في

> **« اللهم ان كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين ، فابقه لي ولأولادي • وان كان فيه شر لي وللمسلمين ، فانزعه مني ومن اولادي ! •• »**
>
> **عبد العزيز (١)**

من بين الوثائق التي افرجت عنها وزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٦٧ م ، بعض ـ لاكل ، كما ارجح ـ تقارير لورنس السرية الى حكومته ، خلال فترة من الزمن ، لم تتغير ابانها خارطة العالم العربي فحسب ، بل انها اثرت تأثيرا بالغا ، على مجرى التاريخ الانساني ، لعل اكثر ما نستطيع ان نتبينه جليا اليوم من هذا التأثير ونتائجه ، وبعد خمسين سنة ، تلك البصمات العميقة التي راحت المملكة العربية السعودية تسم بها اعمق أعماق المدنية الانسانية في الثلث الأخير من القرن الميلادي العشرين •

والمملكة العربية السعودية ، هي حلم الوحدة العربية الذي استطاعت قوى جبارة فاعلة ان تجهضه في عشرينات وثلاثينات القرن الميلادي الحالي ، بالنسبة للاطار الذي رسمه لها الشريف حسين بن علي ، وفشلت ـ بفضل ايمان عبد العزيز ودهائه الخارق ـ في اجهاض الاطار والعمق البديلين اللذين استلهمهما عبد العزيز من تراث الاسلام الحيوي الاصيل ، عبر دعوة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتراث البيت السعودى المكين الملازم •

**زهدي الفاتح**

# الوثائق السرية

• لورنس

والذين تصوروا ، من خلال التاريخ الاستشراقي المتغرب الذى اسهب في الحديث عن صراع شخصي او تعصبي بين عبد العزيز والحسين ، وان عبد العزيز قد حارب ، من اجل السلطة ، الحسين بن علي ٠٠ ــ اخطأوا في وعي طبيعة الاسس العقائدية والنفسية التي انطلق منها عبد العزيز لاستعادة الرياض والاحساء وسائر بلاد ابائه واجداده وتوحيد نجد والحجاز في مملكة عربية سعودية ، هي الدولة الوحدوية الفاعلة المستمرة ــ والحمد لله ــ الاولى من نوعها في التاريخ ٠

ومن يقرأ التاريخ موضوعيا ، تاريخ الملك عبدالعزيز بشكل خاص ، يع بوضوح ان عبد العزيز حارب ، وانتصر على القوى الجبارة التي عملت على اجهاض اطار الوحدة العربية الذى تبناه الشريف حسين ، وهي القوى ذاتها التي ظن بها الشريف خيرا ، فحالفها من اجل تحقيق اطاره الوحدوي ، دون ان يعد المضمون ٠

بل ان هذه القوى المجهضة ــ بضم الميم وكسر الهاء ــ سارعت ، منذ شعورها بخطر عبد العزيز ، الى محاربته والسعي للقضاء عليه ، واقحمته في دوامة صراعاتها مع نفسها احيانا ــ بين وزارة الخارجية ووزارة الهند البريطانيتين ــ ومع منافساتها الاخريات ، احيانا اخرى ٠

يقول سليمان موسى (٢) : « أان الانكليز في الشرق ، لم يكونوا يصدرون في تصرفاتهم نحو العرب عن مدرسة واحدة ذات اتجاه واحد ، بل كانت هناك مدرستان : الاولى في القاهرة ( المكتب العربي ) وتقول بالتعاون مع العرب ومنحهم بعض الشروط لكسب تعاونهم ٠٠ والثانية في الهند والخليج والبصرة ، وتقول بالفتح العسكري وعدم منح اية وعود او شروط ذات صبغة عامة ، وان كان لابد من اتفاقات فلتكن مع كل زعيم محلي على حدة » ٠

وبعد ان يتحدث موسى عن واقعة تربة وتفاعلاتها وانتصار جيش عبد العزيز ، يستطرد قائلا : « اصبح الحجاز كله معرضا الان لخطر الوقوع في قبضة السعوديين ، ولكن ابن سعود آثر التوقف في الخرمة وتربة ، بينما تمكن الشريف شرف بن راجح ، في موقع اكليخ ــ غربي تربة ، من صد قوة من الاخوان عمدت الى مهاجمته ٠ وبلغت المعركة مسامع الحكومة البريطانية ، فبعث برسالة مستعجلة الى ابن سعود تطلب منه العودة الى نجد ، كما ارسلت ست طائرات الى جدة ، بقصد مساعدة الملك حسين ، اذا ما عمد السعوديون الى الزحف غربا نحو الطائف ومكة ٠ » (٣)

في هذه الاثناء ، بعث لورنس الى المخابرات البريطانية بتقرير مؤرخ في ١٨ نيسان ١٩١٩ ، قال فيه ، ما ترجمته بالحرف الواحد :

> **« اذا تخلى ابن سعود عن الوهابية واطماعها ، فستكون سياستنا لينة معه ، اما اذا اصر على الاستمرار في تبني الوهابية ، فاننا يجب ان نشن ، بفرق الجيش الهندي الاسلامية ، حربا ، لانقاذ مكة وضرب الحركة الوهابية ٠٠ لقد سبق لي ان اقترحت ان نفعل ذلك بعشر دبابات ٠٠٠ » (٤) !! ٠٠**

" Irhe ( ie, Ibn Saud ) abandons the Wahabi creed, we will not do too badly. If he remains Wahabi, we will send the Moslem part of the Indian Army to recover Mecca, and break the Wahabi movement ... I offered at X mas 1918 to do it with ten tanks. "

LAWRENCE

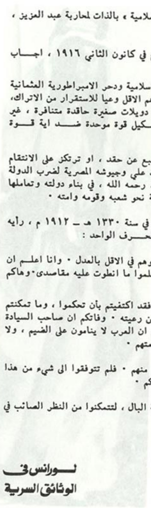

لماذا يحدد لورنس « فرق الجيش الهندي الاسلامية » بالذات لمحاربة عبد العزيز ، دون فرق الجيش البريطاني الاخرى ؟ ••

في تقرير له بعنوان « سياسات مكة » مؤرخ في كانون الثاني ١٩١٦ ، اجاب لورنس عن هذا السؤال ، فقال :

« •• اهدافنا الرئيسية . تفتيت الوحدة الاسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها •• واذا عرفنا كيف نعامل العرب ، وهم الاقل وعيا للاستقرار من الاتراك، فسيبقون في دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة ، غير قابلة للتماسك ، الا انها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد اية قوة خارجية •• » (٥) !!

لم تكن سياسة عبد العزيز ازاء الاتراك تنبع عن حقد ، او ترتكز على الانتقام من الامبراطورية العثمانية التي استعملت محمد علي وجيوشه المصرية لضرب الدولة السعودية الاولى ، بل كان منهاج عبد العزيز ، رحمه الله ، في بناء دولته وتعاملها مع الاخرين يصدر عن احساس عميق بالمسؤولية نحو شعبه وقومه وامته •

هاهو يوضح لوالي البصرة ( العثماني ) ، في سنة ١٣٣٠ هـ ــ ١٩١٢ م ، رأيه في السياسة العثمانية وموقفه منها ، فيقول بالحرف الواحد :

« انكم لم تحسنوا الى العرب ، ولا عاملتموهم في الاقل بالعدل • وانا اعلم ان استشارتكم اياى انما هي وسيلة استطلاع ، لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدى•وهاكم رايي ، ولكم ان تؤولوه كما تشاؤون :

انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق • فقد اكتفيتم بأن تحكموا ، وما تمكنتم حتى من ذلك • قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته • وفاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم امره الا بالعدل والاحسان • وفاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ، ولا يبالون اذا خسروا كل ما لديهم ، وسلمت كرامتهم •

اردتم ان تحكموا العرب ، فتقضوا أربكم منهم • فلم تتوفقوا الى شيء من هذا او ذاك • لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم •

وفي كل حال ، انتم اليوم في حاجة الى راحة البال ، لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجوهرية •

اما ما يختص منها بالعرب ، فاليكم رأيي فيه :

اني ارى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، الى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة فيه ولا نفوذ للحكومة العثمانية ، لتكون لهم حرية المذاكرة . والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف ، ثم تقرير احد امرين :

اما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد ، واما ان تقسموها الى ولايات تحددون حدودها ، وتقيمون على رأس كل ولاية رجلا كفؤاً من كل الوجوه ، ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات.

وينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة ، استقلالا اداريا ، وتكونوا انتم المشرفين عليها . فاذا تم ذلك ، فعلى كل امير عربي ، او رئيس ولاية ، ان يتعهد بأن يعضد زملاءه ويكون واياهم يدا واحدة على كل من تجاوز حدوده ، او اخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم . هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ، وتكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم . » (٦)

من هذا يتبين بجلاء ان عبد العزيز المسلم لم يعمل ، او يفكر ، في يوم من الايام للمشاركة في القضاء على الامبراطورية العثمانية ، بل سعى ، وسط المعطيات الدولية التي سادت تلك الفترة ، الى احداث تغيير في السياسة العثمانية تعكس المنفعة المشتركة للعرب وللاتراك على حد سواء ، انطلاقا من وعيه لابعاد التضامن الاسلامي الحضارية. لكنه كان ، في الوقت ذاته ، مستعدا لبناء الكيان الاسلامي البديل والسليم ، فيما لو قضت تلك المعطيات الدولية الاستعمارية بتوجيه الضربة القاضية الى « الرجل المريض » بدليل انه حين شعر ان « بريطانيا العظمى » كانت تخطط للاستيلاء على الاحساء سارع ، بدهائه وسرعة بديهته وحركته الحيوية ، الى استعادتها وضمها الى دولته الفتية اذ ذاك ، فارضا سياسة الامر الواقع ، التي ما زال العالم يؤمن بها .. كما انه سارع ، فيما بعد ، انطلاقا من المبادىء ذاتها ، الى الحفاظ على ديار المسلمين المقدسة في الحجاز من التفتت والضياع والوقوع تحت سلطة غير جديرة بتحمل مسؤولية حكم مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولم شملها مع نجد.

ويبدو ان بريطانيا ادركت ما كان يدور في ذهن عبد العزيز ، قبل اكثر من سنتين من قيام وحدة نجد والحجاز ، فهدد تشرشل الامير عبد الله بن الحسين ، لدى اجتماعهما في القدس يومي ٢٨ و ٢٩ اذار ١٩٢١ بحضور لورنس نفسه الذى قام بدور المترجم بين المجتمعين .. ـ فقال بالحرف :

« .. انكم-ان لم تفعلوا هذا ، فستضيعون كل شيء ، وبامكان ابن سعود ان يصل الى مكة في ثلاثة ايام .. » (٧)

في السنة ذاتها ، ١٩٢١ م ، وقبل ايام من اجتماع القدس المذكور ، كتب تشرشل الى رئيس وزرائه لويد جورج محذرا :

« ان ابن سعود سيقود البلاد نحو هاجس ديني ‥ » (٨)

ونقل خير الدين الزركلي في كتابه « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » ، رواية ، لم يشر الى مصدرها الاصلي على غير عادته ، عن لورنس ، على النحو التالي :

« قال الكولونيل لورنس ــ الملقب بملك العرب غير المتوج ــ
كنت في حضرة الملك حسين بجدة ، وجاء ذكر ابن سعود سلطان نجد ، فقال : ومن يكون ابن سعود هذا ؟ وفاه بكلمة في وصفه اعف عن ذكرها .

قال لورنس : فاجبته : ان حكومة بريطانية لوارادت قتال هذا الذى تصفه جلالتك ذلك الوصف ، لاضطرت الى القاء خمسين الفا من جندها في صحارى قاحلة ، مدة عامين ، في حرب مجهولة العاقبة ‥ » (٩)

رواية الزركلي هذه ــ لو صحت ــ من البديهي انها جرت بعد سنتين على الاقل من تاريخ تقرير لورنس السرى المشار اليه ، الذى « اقترح » فيه شن حرب « لانقاذ مكة وقهر الحركة الوهابية » ، وذلك « بفرق الجيش الهندي الاسلامية » .

لقد اتضح للورنس وحكومته ان ليس من المصلحة البريطانية في شيء معاداة قوة عبد العزيز المتعاظمة في الجزيرة العربية ، خلال تلك الفترة ، كما تبين لبريطانيا ان عبد العزيز ليس بالقوة التي يستهان بها حتى يقضى عليه « بعشر دبابات » ، على حد تعبير لورنس . ولم يفت مخططو السياسة البريطانية نتائج « القضاء على عبد العزيز والحركة الوهابية » ببعض « فرق الجيش الهندي الاسلامية » ، على صعيد العالمين العربي والاسلامي .

وبعد ،

فان الحديث عن العلاقات السعودية ــ البريطانية ، منذ نشأتها سنة ١٩١٥ م ، وطوال عهد المؤسس الراحل الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، يحتاج الى بحث تاريخي مطول ، اعد به قراء مجلة « الدارة » ، ان شاء الله . لكن ما هو مهم الاشارة اليه هنا ، ان عبد العزيز لخص منهاجه السياسي ازاء بريطانيا ، خلال حوار مسهب جرى يوم السبت في ١٤ ذي القعدة ١٣٥٦ هـ ــ ١٥ كانون الثاني ١٩٣٨ م ، بينه وبين اللورد بلهافين وستنتون ( الكولونيل هاملتون الذى كان معتمدا بريطانيا في الكويت ايام الحرب العظمى ) ‥

قـــــال رحمـــه اللـــه :

« لا شك ان بريطانيا قوية وقادرة على ان ترغم الناس بالعنف على الرضوخ الى رغبتها٠ولكن ، هل يأمن عاقل للحوادث المقبلة ، وما يمكن ان يسنح من فرص ؟ كلا٠ لا شك ، ان قوة بريطانيا اذا استعملت تمكن ايا كان من القيام باعباء الحكم ، ولو كان امراة ! ولكن هل من المصلحة ان تنصب بريطانيا اشخاصا على عروش ، وتنشىء حكومات لا تستطيع ان تقف بنفسها او ان تؤمن حياتها الا بمعونة الانكليز ؟ ومـا فائدة الانكليز من هؤلاء الاشخاص وتلك الاشـكال ؟ ٠٠ » (١٠)

## المصـــــــادر

(١) ص ١٠٥٦ من كتاب خيرالدين الزركلي «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» ، الجزء الثالث٠

(٢) ص ١٦١ من كتـــابه « الحـركة العربيـــــة » ٠

(٣) ص ٦١٣ من المرجـــــع الســـابق ٠

(٤) ص ١٥١ من كتاب فيليب نايتلي وكولين سمبسون «الوقائع السرية في حياة لورنس الجزيرة العربية »
" The Secret Lives of Lawrence of Arabia "

(٥) ص ٥٢ ، ٥٣ مـن المرجـــــع الســـابـــق ٠

(٦) عن « تاريـــخ نجد الحديث » لامـين الريحـــاني ٠

Report on Middle East Conference in Cairo and Jervsalem
March 12 to 30-1921, pp. 8, 107 - 114, AIR.

(٨) ص ١٤١ من كتـــــاب « الوقائع السرية ٠٠٠ »

(٩) ص ٧٢٢ من كتـــــاب الزركلـــــي ٠

(١٠) ص ١٠٨٧ من كتـــــاب الزركلـــــي ٠